الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس

د/ تيسير رجب النسور د/ جمال دليع العريني

للترقية من دكتور مشارك إلى أستاذ دكتور

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الأميرة عالية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس

د/ تيسير رجب النسور د/ جمال دليع العريني

جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الأميرة عالية

tayseer@bau.edu.jo

ملخص

الصورة الشعرية شكل من أشكال التعبير الفني وهي مكمن الإبداع وفيها تتجسد الأحاسيس وتشخص الأفكار، فهي روح الشعر وجوهره، وشاعرنا ابن حمديس له حظ وافر من الشاعرية في الوصف والتصوير، فقد أتقن صوره من خلال إثرائها بمختلف الأشكال والألوان مضفيا عليها بعدا فنيا عميقا، وكل ذلك نابع من جمال بيئة الأندلس وقدرة الشاعر الخيالية والإبداعية، فقد كانت الطبيعة المنهل الحقيقي لصوره الشعرية وكذلك استوحى شاعرنا المرجعية الدينية في تشكيل صوره الشعرية لما لها من تأثير جمالي و انفعالي وكذلك أدخل الموروث الشعري في بناء صوره الشعريه بأسلوب يكشف عن قدرة الشاعر الإبداعية فضلا عن ذلك فقد برزت الاستعارة في شعره بوصفها عنصرا بنائيا في تشكيل صوره الشعرية، وكذلك وظف الصورة الشعرية الكنائية معتمدا على الكنايات المتداولة وكذلك وظف الصورة الشعرية من خلال أسلوب التشبيه بأنواعه، وذلك لميله الشديد إلى الإفصاح عن أفكاره وتعميق المعنى

الكلمات المفتاحية: دلالات – استعارة – صورة – متلقي – الطبيعة – الأندلس – التشبيه –الرياض– الغيث – الكناية – عاطفة – شعرية – الموروث

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م
Summary

The poetic image is aform of artistic expression and it where creativity is embodied in which feelings and personalities are emboelied, and our poet ibn hamdis has ample luck in poetics in describing and photographing it stems from the beauty of the Andalusian environment and the poets imaginative and creative ability nature was the true source of poetic images because of their anesthetic and emotional impact as well as well as introducing the poetic heritage in building his poetic images in away that reveals the poets creativing conscious, moreover the metaphor emerged in his poetry as a constructive element in shaping his poetic image, as well as employing the poetic image

As well as employing the obedient poetic image of the metaphors in circulation well as employed poetic image through different kinds of metaphor style, so severe the tendency toreveal his thoughts and deepn the meaning of
Key words: semantics - metaphor - image - recipient - nature - Andalusia - likeness - Riyadh - Al Ghaith - metaphor - emotion - poetry – inherited

المقدمة

الصورة الشعرية شكل من أشكال التعبير الفني وهي مكمن الإبداع ، فالشاعر مصور يرى الأشياء ويعايش الأحداث ويمزج دقة الإحساس مع عقله الباطن ، لتتولد لديه لوحة فنية ؛ حيث يمر الشاعر بصور شتى ومتفرقة في حياته وتتراكم مكونه صور جيدة حديثة المنشأة والمولد.

أما مفهوم الصورة لغة فقد جاء في لسان العرب لابن منظور مادة : ص و ر الصورة في الشكل والجمع صور وقد صور فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير. التماثيل، والصورة ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته،وصورة كذا وكذا أي صفته [١]، ومدلول كلمة الصورة يدور حول الشكل الخارجي كما جاء في معجم القاموس المحيط "الصورة " بالضم تعني الشكل والجمع صور وتستعمل بمعنى النوع والصفة [٢]، أما تحديد مفهوم الصورة الشعرية فقد شابه كثير من الاضطراب والغموض الشيء الذي دفع بالباحثين إلى القول: أن أية محاولة لإيجاد تحديد تصاقب مستقر للصورة غير منطقية ، إن لم يكن ضرباً من المحال[٣].

وعلى الرغم من أن مصطلح الصورة الشعرية ، وفد إلينا من الغرب ، فإن كثير من مكوناته موجود في تراثنا النقدي والبلاغي القديم ، ويعتبر الجاحظ أول من نبه إلى التصوير حيث قال :إنما الشعر صياغة ، وضرب من النسيج ، جنس من التصوير[٤]

(١) ابن منظور ، جمال محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١ ،دار صادر بيروت، ج٣ (مادة صور) ، ١٩٩٠م ، ص ٣٠٣

(٢) مجد الدين بن محمد يعقوب ، الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ج٧ ،ص٧٣

(٣) محمد علي كندي، الرمز والغناء، دار الجديدة المتحدة ،بيروت ، لبنان، ٢٠٠٣م، ص ١٧

(٤) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن حجر، الحيوان، مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٣٠،١٣٢.

ويقول الجرجاني في الصورة : إنما الكلام أصوات محلها من الإسماع محل النواظر في الأبصار ، وأنت قد ترى الصورة ستكمل شرائط الحسن ، وتستوفى في أوصاف الكمال ، وتذهب في النفس كل مذهب ، وتقف من التمام بكل طريق ، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن ، والتئام الحلقة وتناصف الأجزاء، وتقابل الأقسام ،وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى قبول ، وأعلق بالنفس وأسرع ممازجة للقلب[١] ويقول عبد القاهر الجرجاني : "أعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البنيوية بين أحد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان ، وفرس من فرس ، بخصوصية يكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك[٢].

وتعد "الصورة الشعرية " من الموضوعات الفنية التي أفرد لها النقاد حيزا واضحا في بحوثهم ودراساتهم ، كما أدرك الأدباء والفنانون مكانتها في العمل الأدبي شعره ونثره ، فالدكتور عز الدين إسماعيل يرى أن " ...الصورة الشعرية قد تنقل إلينا انفعال الشاعر(تجربته الشعرية) ولكنها كذلك قد تنقل إلينا الفكرة التي انفعل بها الشاعر ، وليست الصورة التي يكونها خيال الشاعر إلا وسيلة من وسائله في استخدام اللغة على نحو يضمن به انتقال مشاعره (انفعالاته وأفكاره) إلينا على نحو مؤثر ليخلص فيما بعد إلى أن الصورة كما تكون مجموعة من الالفاظ تكون لفظا واحدا ، والشاعر في بحثه وتركيبه للصورة ، يستخدم اللفظ المفرد كما يستخدم المجموعة من الألفاظ وبذلك يمكننا أن نقول إن القصيدة مجموعة من الصور[٣]، ويقول نعيم اليافي "

(١) الجرجاني،علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة بيروت، لبنان، ١٩٦٦م، ص ٣٦٨

(٢) الجرجاني ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مكتبة الخانجي،ط٣ ،١٩٩٢م، ص ٨٧ . ٨٨.

(٣) عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، ط ٨ ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٣

إن لغة الفن لغة انفعالية والانفعال لا يتوسل بالكلمة ، وإنما يتوسل بوحدة تركيبية معقدة ، حيوية لا تقبل الاختصار نطلق عليها اسم الصورة [١]

وعند الدكتور جابر عصفور الصورة هي دراسة التشبيه والاستعارة والكناية ، مضافا إليها المقابلة باعتبارها حركة ذهنية قائمة على التناقض[٢] أما إحسان عباس فيحدد مفهومها بقوله : " لقد كانت نظرتنا إلى الصورة من زاويتين فقط : الأولى : أن الصورة تعبر عن نفسية الشاعر ، وأنها تشبه الصور التي تتراءى في الأفلام ، والثانية أن دراسة الصور مجتمعة قد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة ، وذلك لأن الصورة وهي جميع الإشكال المجازية إنما تكون من عمل القوة الخالقة ، فالاتجاه إلى

وفي الأندلس تفنن الشعراء في الصورة الشعرية لإظهار جمال الطبيعة ، لا سيما الشاعر ابن حمديس فقد تميز بغزارة صوره وتميزها ، وهذا دفعني لاختيار موضوع البحث للكشف عن خصائص صوره الشعرية ، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة ، تناولت المقدمة مفهوم الصورة الشعرية عند الباحثين القدامى والمحدثين ووظيفتها وأهميتها ، أما المبحث الأول فقد تضمن مصادر الصورة الشعرية في شعره (الطبيعة ،الموروث الشعري ، المرجعية الدينية) ، وتناول المبحث الثاني وسائل تشكيل الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس (الاستعارة ، التشبيه ، الكناية) ، وخاتمة تضمنت ما توصلت إليه الدراسة ، وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في استقراء النماذج الشعرية للوصول إلى النتائج المرجوة من هذا البحث .

(١) نعيم اليافي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، لا ت ، ص ٨١
(٢) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، بيروت ، المركز الثقافي ، ١٩٩٢ ص:٣٦٣

المبحث الأول : مصادر الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس

أولا : الطبيعة

صور الشاعر ابن حمديس البيئة الأندلسية بكل مظاهرها ، ولا نعجب أن يفتن الشعراء بهذه الطبيعة الفاتنة برياضها الجميلة ، وجبالها الخضراء ، وأزهارها المتنوعة الأشكال والألوان ، ووفرة مياهها وأنهارها وجداولها ، وزقزقة عصافيرها ، فهذه البيئة الجميلة كانت منهلا يستقي منه الشعراء الصور الشعرية المليئة بالتشبيهات والاستعارات والكنايات " استولت الطبيعة الساحرة على الأندلسيين ، فملكت عليهم حواسهم وأسرت ألبابهم ، بما تشيعه حولها من فتنة وجمال وتبثه من روعة وسحر ، فتفننوا بمباهجها ، وهاموا بجمالها الخلاب[١].

يقول ابن حمديس [٢]:

وزرقاء في لون السماء تنبهت لتحبيكها ريح تهب مع الفجر
يشق حشاها جدول متكفل بسقي رياض ألبست حلل الزهر
كما طعن المقدام في الحرب دارعا بعضب فشق الخصر منه إلى الخصر

يصور الشاعر بركة من الماء زرقاء اللون تداعبها نسمات الفجر ، ويشق حشاها جدول من الماء يسقي الرياض فيلبسه الحلل الخضراء ، وشبهه الشاعر بالفارس المقدام الذي يشق عدوه من الخصر إلى الخصر .

(١) جودت الركاب ، الطبيعة في الشعر الأندلسي ، ط٢، مكتبة أطلس ، دمشق ، ١٩٧٠ ، ص٢٢
(٢) ابن حمديس ، الديوان ،تحق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٦ ص ١٨٧

ويقول[١]:

ونيلـــــوفر أوراقـــــه مســـــتديرة تتفتح فيما بينهن لها زهر

كما اعترضت خضر التراس وبينها عوامل أرماح أسنتها حمر

وصف الشاعر زهرة النيلوفر بأنها مستديرة وحينما تتفتح لها زهر أحمر ، ويشبها بصورة خضر التراس وهي محاطة بالرماح وأسنتها الحمراء .

ويقول[٢]:

وياسمين حسن المنظر يفوق في المرأى وفي المخبر

كأنه من فوق أغصانه دراهم في مطرف أخضر

يصف الشاعر زهرة الياسمين بحسن جمالها ومنظرها ، وشبه أغصانها بالدراهم وجامع الشبه الاستدارة ، وشبه لونها بالورق الأخضر بجامع اللون .

ويقول[٣]:

جرى دمعة منهن في أعين الزهر فلم ترى عيني بينها كشقائق تبلبلها

الأرواح فـــي القضـــب الخضـــر كما مشطت غيد القيان شعورها

وقامت لرقص في غلائلها الحمر

شبه الشاعر قطرات الندى المتساقطة الأزهار بقطرات الدموع المتساقطة من عيون الحسان ، وكذلك شبه تمايل أوراق وأغصان زهرة الشقائق بالحسان عندما يمشطن شعورهن ويضعن الطيب ويقمن للرقص على غلائلهن الحمر .

ويقول[٤]:

وكيف يخفي عليه ما كلفت به إذا الدلائل دلته على القمر

وظف الشاعر القمر لتشكيل صورته الشعرية ، فهو يقول أن حبيبته قمر ، وقد أسقط على هذه الصورة مشاعره وانفعالاته .

(١) ابن حمديس ، الديوان ، ص ١٨٥
(٢) ابن حمديس ، الديوان ، ص ٢٨٨
(٣) ابن حمديس ، الديوان ، ص ١٩٢
(٤) ابن حمديس ، الديوان ،ص٢٧٢

ثانيا : المرجعية الدينية

اهتم ابن حمديس بالموروث الديني اهتماما كبيرا ، واستقى منه ووظفه في تشكيل صوره الشعرية ، واعتمد في ذلك على النصوص القرآنية" فهي مصدر غني لا بد للشاعر أن يغترف منه ليقوي شعره ويثري تجربته(١).

يقول:

صادتـك مهاة لـــم تصـــد فلواحظهـا شرك الأســد

من توحـي السحـر بناظــرة لا تنفث منـــه في العقـد

شبه الشاعر عيون الجميلات بعيون المها ، وشبه لواحظ الجميلات بالشراك الذي ينصب لصيد الأسود ، ووصف سحر نظرات الجميلات "بنفاثات السحر في العقد "فقد استوحى الشاعر النص القرآني " ومن شر النفاثات في العقد (٢).

يقول (٣):

ولقلمـا يبقـــى رمادهـم إذا طارت به في الجو ريح صرصر

قــام الدليـل وما الدليـل بكاذب أن النصـــارى يخذلـون وتنصـر

استوحى الشاعر صورته الشعرية من ألفاظ القرآن الكريم " وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية " ، فقد وردت لفظة "صرصر" في النص القرآني للدلالة على الدمار والشاعر صور الهجوم على الأعداء بريح صرصر تهلكهم وتدمرهم

ويقول(٤):

فأن تك لي في المشرفي مآرب فكم في عصا موسى له من مآرب

(١) علي عشري زايد ، بناء القصيدة العربية الحديثة ، دار الفصحى ، القاهرة ، ١٩٧٨، ص ١٢٨

(٢) سورة الفلق ، آية (٣)

(٣) ابن حمديس ، الديوان ، ص ١٩٦

(٤) سورة الحاقة ، آية (٦)

اقتبس الشاعر الفاظ ومعاني مستوحاة من قصة النبي موسى عليه السلام " وأوحينا إلى موسى أن الق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون [١] فقد شبه الشاعر ضمنا سيف الأمير بسبب ما حققه من انتصارات بعصا يوسف عليه السلام الذي كتب له النصر العظيم على السحرة من القوم الضالين .

ثالثا : الموروث الشعري

من خلال رصد ديوان الشاعر ابن حمديس تبين احتفاء الشاعر بموروثه الأدبي واستلهام نصوصه .

يقول ابن حمديس[٢]:

رفعت لساني بالقيامة قد أتت ألا فانظروا هذه الجبال تسير

يصور الشاعر بأسلوب الكناية عن الصفة ، فقد كنى عن روعة الموقف بسير الجبال ويرى أن القيامة أتت وأن الجبال تسير ، وفي هذا البيت إحالة إلى قول الشاعر المعتمد بن عباد [٣]:

أقول وإني مهطع خوف صيحة يجيب بها كل إلى الله داعيا
أسير جبال وانتشار كواكب دنا من شروط الحشر ما كان نائيا

ويقول ابن حمديس[٤]١:

فترى البعوض مغنيا بربابة والبق تشرب والبراغيث ترقص

يصف ابن حمديس الحشرات (البعوض مغنيا بربابة ، والبراغيث ترقص)

(١) سورة الأعراف ، (١١٧)
(٢) ابن حمديس ، الديوان ،ص٢٦٩
(٣) المعتمد بن عباد ، ديوانه ، تحق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ص٣١٣
(٤) ابن حمديس ، الديوان ، ص٢٨٩

وقد أخذ هذا الوصف من ابن رشيق القيرواني في وصف الحشرات يقول ابن رشيق[١]:

غنى الذباب فضل يرمز حوله فيه البعوض ويرقص الذباب

ويقول ابن حمديس[٢]:

بيض تصف المنايا السود صارخة وهي الذكور التي انقضت بها القمم

وهذا الوصف أخذ من قول ابن نباتة السعدي[٣]:

ومن العجائب أن بيض سيوفه تلد المنايا السود وهي الذكور

ساوى الشاعر ابن حمديس في المقابلة البيض ، السود ، ذكر الذكورية مع ذكر الوضع الذي ذكره ابن نباته (تصف المنايا السود صارخة وهي الذكور ... تلد المنايا السود وهي الذكور).

(١) ابن رشيق القيرواني ، ديوانه ، تحق عبد الرحمن باغي ، دار الثقافة ، بيروت ،ص٤٥

(٢) ابن حمديس ، الديوان ،ص٥٥٩

(٣) عمر بن حسين الدحية ،المطرب من أهل أشعار المغرب ، تحق إبراهيم الأيباري و حامد عبد الحميد، دار العلوم ، القاهرة ، ١٩٥٥، ص٥٦

المبحث الثاني : تشكيل الصورة الشعرية في شعر ابن حمديس

تكون الصورة البلاغية أكثر وضوحا إذا توافرت فيها كل من الخيال واللغة المعبرة والعاطفة" والبليغ كل من أفهمك حاجتك من غير إعادة ولا حسبة ولا استعانة فهو بليغ(١)

أولا : الصورة الاستعارية

الاستعارة عند البلاغيين " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به(٢) والاستعارة وسيلة بلاغية أساسها التشبيه " فهي تشبيه حذف أحد طرفيه الرئيسين(٣)، وتعد الاستعارة أهم الوسائل الفنية في تشكيل الصورة" في اتخاذها وسيلة للتعبير بالتصوير وللتأثير بشحناتها النفسية وومضاتها الحسية والفكرية النابعة عن التجربة الصادقة(٤).

اهتم الشاعر ابن حمديس بأسلوب الاستعارة من مثل :

يقول ابن حمديس (٥):

باكر إلى اللذات واركـــب لهـــا سوابــق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغوادي من ثغور الأقاح

وصف الشعر ظهور الشمس على روضة الأقاحي ، فقد "شخص" الشمس وحذف المشبه به مبقيا على شيء من لوازمه وهي الارتشاف ، وكذلك ثم تشبيه الندى المتساقط على روض الأقاحي بريق الغوادي ، موظفا الاستعارة التصريحية حيث حذف "المشبه "الندى وجعل الشمس ترشفه ، ووظف استعارة

(١) أبو عثمان عمر بن بحر ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحق عبد السلام محمد هارون ، ج١، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ص١١٣

(٢) أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحق أكرم عثمان يوسف ، بغداد ، مطبعة الرسالة ، ص٦٧٧

(٣) محمد الهادي الطرابلسي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات الفلسفة والأدب ، تونس ، ١٩٨١، ص١٦٢

(٤) أحمد مطلوب وحسن كامل بصير ، البلاغة والتطبيق ، بغداد ، ط١، ١٩٨٢،ص٣٦٥

(٥) ابن حمديس ، الديوان ،ص٨٩

أخرى " ثغور الأقاح" ، حيث شبه الأقاحي بالجميلات حاذفا المشبه به وذكر لازمه من لوازمه وهي الثغور ، ونلاحظ أن الشاعر وظف الاستعارة توظيفا سليما للتأثير في المتلقي

وإبراز المعنى بصورة مستجدة ومن خلال اليسير من الألفاظ.

ويقول[١] "١:

أصاب فؤادي بسهم يا له عجبا رمى المشيب ومن جول الطوى رمى

فشيب رأسي من قلبي الذي ازدحمت فيه صروف هموم تعثر الهمما

كأن سقط زناد كان أوله لما تغذى بعمري في الوقود نما

نلاحظ أن الشاعر استعار لفظة السهم لتصوير الشيب الذي أصاب فؤاده والاستعارة تمثيلية ، ونلاحظ أيضا أن شاعرنا يوظف الألفاظ ذات الدلالة الإيحائية الرمزية من مثل "أصاب " للدلالة على الحزن وكره الشيب الذي أصابه بسبب الهموم والمصائب ، وكذلك شبه الشيب بأول ما يسقط من النار عند قدحها وبأنها تتغذى حتى تأكل عمره كله ، ويشتعل رأسه كله بسبب الوقود وهو هنا يقصد العمر الذي يزداد مع تقدم الزمن .

ويقول[٢]:

فشيب ليلك من إصباحه يقق وشيب يومك من إمسائه حلك

استعار الشاعر ابن حمديس الليل على سبيل الاستعارة التصريحية لسواد شعر الرأس ، ويستعير الصباح لبياضه رامزا للمشابهة بين الألوان ، موظفا التضاد بينهما فشدة بياض الرأس يقابلها شدة سواد المساء (الليل) .

(١) ابن حمديس ، الديوان ،ص٤٧١

(٢) ابن حمديس ، الديوان ، ص ٣٤٧

يقول[١]:

أين من عمر اليباب وجيل لبس الهر من جديس وطيسم
كشر الدهر عن حداد نيوب أكلتهم بكل قضم وخضم
ومحوا من صحيفة الدهر طرا محو هوج الرياح آيات رسم
أفلا يتقى تغير حال فيد الدهر في بناء وهدم

يوظف الشاعر التشخيص حيث فقد اسبغ على الدهر من صفات الإنسان (لبس الدهر) ، ثم وظف ابن حمديس الاستعارة حيث شبه الدهر بالحيوان (كشر الدهرعن حداد نيوب) ، فقد استعار له صفاته ، وبأنه يفترس كل شيء أمامه ، وقد محاهم كما تمحو الرياح الرسوم الباقية وانتهى باستفهام استنكاري مشخصا الدهر باليد التي تستطيع الهدم والبناء .

ويقول[٢]:

يد الدهر جارحة آسية ودنياك مفنية فانية
وربك وارث أربابها ومحيي عظامهم البالية
رأيت الحمام يبيد الأنام ولدغته ما لها راقية

استخدم الشاعر أسلوب التشخيص ، فقد جعل اليد التي هي من أعضاء الإنسان للدهر، بفعل "جارحه آسية " ، ووظف التجسيد أيضا في إضفاء الصفات الحسية على الأشياء المعنوية (رأيت الحمام) ، والموت لا يرى ، ولكن ترى الآثار التي يتركها الموت ، وقد شبه الموت بلدغة الأفعى التي يسري سمها وليس لها دواء

(ولدغته ما لها راقية) ، يلاحظ أن الاستعارة في صميم الصورة الشعرية ، ولم يوظفها كزخرفة أو حلية أو بعدا شكليا للأدب ، وقد لاحظنا هذه السمة من خلال استقراء النماذج الشعرية في ديوان الشاعر .

(١) ابن حمديس ، الديوان ،ص٤٧٨
(٢) ابن حمديس ، الديوان ، ص٥٢٢

يقول[١]:

أسد الروع الذي حملاقه يرسل اللحظة موتا فيهاب

وصف القائد وصفا قائما على أسلوب الاستعارة التصريحية ، فقد شبه القائد بالأسد من حيث مهابته ولحاظه المرعبة والمحية التي يرسلها لمن يقف أمامه

ويقول [٢]

وفضفاضة خضراء ذات حبائك إذا لبست فاضت على بطل كفو
لها لين لمس لا يخاف خشونة تشافهها من حد ذي شطب مهو
على أنها من نسج داود نثرة أدق على الأبصار من أثر الرفو

تفنن الشاعر في وصف لا الدرع الذي يحمي حامله من الرماح والسيوف، فقد استعار فضفاضة الخضراء على سبيل الاستعارة التصريحية ، فحذف المشبه

"الدرع " وأبقى شيء من لوازمه " لبس " للدلالة على كبر الحجم ، واستعار لها لين لمس لإضفاء صفة إنسانية ، وشخصه على المشافهة وملامسة السيف ، واعتمد الاستعارة القرآنية " من نسج داود نثرة " كاستعارة تصريحية للدلالة على الدقة في الصنعة .

ويقول[٣]:

إن ثوب الصبا يمزق مني ما الذي بالخضاب منه يرقع
أنبت الدهر بالمفارق شيبا بهموم في مضمر القلب يزرع

استعار الثوب وهو أمر حسي إلى الصبا وهو أمر معنوي ، ووظف الفعل المضارع يمزق لتشكيل صورة تجسيدية ، وجسد الخضاب وجعله رقعة لهذا التمزق ، ثم شخص الدهر بقوله "أنبت الدهر شيبا " ، وكذلك استعار

(١) ابن حمديس ، الديوان ،٦٥
(٢) ابن حمديس ، الديوان ، ص٥٢١
(٣) ابن حمديس ، الديوان ، ص ٣٠٥

للهموم الفعل يزرع ، وهذا يبين إحساس الشاعر بثقل الزمن وتأثير الشيب مع تقدم العمر .

ثانيا : الصورة التشبيهية

يعتبر التشبيه من أكثر الفنون البيانية استخداما ويعرف بأنه " عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر ، لاشتراكهما في صفة أو أكثر(١)، وللتشبيه قيمة فنية لما ينطوي عليه من قدرة على الخلق والتصوير " سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد ، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما (٢).

ومن الجدير بالذكر أن بعض الشعراء يوظفون التشبيه في أشعارهم ؛ لإظهار مقدرتهم وبراعتهم في النظم ،وشاعرنا ابن حمديس كان "للتشبيه بأنواعه وأصنافه مكان بارز في تشكيل صوره الشعرية ، مستفيدا من الطاقات الجمالية التي يبثها التشبيه ممتزجا بائتلاف الشاعر مع طبيعته وبيئته الأندلسية الأخاذة (٣).

يقول ابن حمديس(٤):

أبروق تلألأت أم ثغور وليل دجت لنا أم شعور

يستخدم الشاعر أسلوب التشبيه لإثارة خيال المتلقي ، إذ شبه ثغور الفتيات ببريق اللألىء ، وشبه سواد شعورهن بالليالي المظلمة في سوادها ، ويلاحظ أن الشاعر لم يستخدم أدالة التشبيه كأن ، واستخدم الأداة " أم لتشكيك القارئ ولفت انتباهه وإثارة عواطفه .

(١) قدامة بن جعفر ، تحق عبد المنعم الخفاجي ، نقد الشعر ، دار الكتب ، بيروت ، ص ١٢٢

(٢) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، دار المطبوعات العربية ،ط١، بيروت ، ١٩٨٨، ص٩٠

(٣) صاحب رشيد موسى ، الصورة البيانية في الشعر الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين) ، الأنبار ، ٢٠٠٣ ص٦٨

(٤) ابن حمديس ، الديوان ،ص٥٥٢

ويقول[١] :

ولابس نقب الأعراض جوهره له انسياب حباب رقشه[٢]الحبب
إذا الصبا زلقت فيه سنابكها حسبته منصلا في متنه شطب
وردته ونجوم الليل مائلة كما تدحرج در ما له ثقب
ومغرب طعنته غير نابية أسنة هي إن حققتها شهب
مشرق كماء الشمس في يده ففضه الماء من إلقائها ذهب

حشد الشاعر الصور التشبيهية وأغرق في أسلوب التشبيه ، فقد شبه الشاعر إنسياب النهر وقد علت سطحه فقاقيع الماء بالحية الرقشاء[٣] ، وشبه النهر وقد هبت عليه ريح الصبا بالسيف المشطب ، وصور النجوم وقد تراءت في ماء النهر بالدرر النفيسة ، وشبه الشهب وقد بدت على سطح النهر بأسنة الرماح ، وشبه إحمرار الشمس التي ألقت على وجه النهر بالذهب الأصفر الخالص ، ويلاحظ أن هذه الصور متداولة بين الشعراء .

ويقول[٤]:

رقيقة ماء الحسن يجري بخدها كجري الندى في غصن ورد مفتح
تثنت بعطفيها عن العطف فانثنت كنشوان في برد الصبا مترنح

وظف الشاعر التشبيه المرسل في وصف فتاة جميلة مشبها نضارتها وجريان الماء في خديها بقطرات الندى الجاري في غصن ورد متفتح ، وصور ثني أعطافها وميلانها برياح الصبا التي تهب من الشمال فتكون باردة .

(١) ابن حمديس ، الديوان ،ص٢٥
(٢) الرقشاء من الحيتان المنقط بالسواد والبياض ، راجع ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٣٢
(٣) الرقشاء من الحيتان المنقط بالسواد والبياض ، راجع ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٣٢
(٤) ابن حمديس ، الديوان ،ص١٠٩

ويقول [١]:

وكم غادة زارت على خوف رقبة ولم يثنها عن زورتي لوم لائم
فبات يشب النار في القلب حبها على أنها كالماء في فم صائم

يصف الشاعر تسلل عشيقاته خفية لزيارته خوفا من أعين الرقباء ولومهم ، وبلقاء عشيقاته يخمد الشوق واللهفة بسبب حبه وولعه لهن ، ومن خلال التشبيه التمثيلي شبه زيارة عشيقاته له بالماء في فم الصائم بعدما أضناه العطش .

ويقول[٢]:

إذا صب ماء على صرفها رأيت لها غوصة في اللهيب
فتخــرج من قعرهــا لؤلؤا ينظم للكأس فوق التريــب

من خلال أسلوب التشبيه البليغ شبه الشاعر حبيبات الخمر التي تطفو على سطح الكأس بشكل منظم عند إضافة الماء إليها باللآلئ التي تخرج من أعماق البحر وتنظم وتترتب لتشكل قلائد تتزين بها الحسناوات أعلى التريب ، يلاحظ أن ابن حمديس يوظف التشبيه ليثري صوره بالجمال الفني ، وبأنه ينهض بالنص الشعري من خلال خياله الخصب وعاطفته الصادقة .

ويقول [٣]:

وكنت على قديم الدهر أصبو إلى اللذات بالقصر القديم
ترد إذا ظمئــت علـــي كأسي كما رد اللبان على الفطيم

يشبه الشاعر شوقه ورغبته بالعودة إلى القصر القديم وشرب الخمر فيه بعد فراق قديم ، بالفطيم الذي رد إلى لبن أمه ، والصورة هنا قائمة على أسلوب التشبيه التمثيلي ، يلاحظ أن صور ابن حمديس وأفكاره ممتزجة مع عواطفه ، وتثير وتحرك مشاعر المتلقي .

(١) ابن حمديس ، الديوان ،ص٤٤٥
(٢) ابن حمديس ، الديوان ،ص١٨٨
(٣) ابن حمديس ، الديوان ،ص٤٣٥

ثالثا : الصورة الكنائية

لأسلوب الكناية دور مهم في رسم الصورة الأدبية ، والكناية لغة هي " أن تتكلم بالشيء وتريد غيره [١]، " فالمعنى المراد إثباته لا يذكر بلفظه ، وإنما يؤتى بمرادفه ، ويومئ به إليه فيكون دليلا عليه [٢].

يقول ابن حمديس:

وجاءنا الساقي بصحن مفعم لو شاء أن يسبح فيه لسبح

الصورة الشعرية هنا قائمة على الكناية عن موصوف ، ويلاحظ فيها المبالغة ، حيث يصف الشاعر الكأس الذي يشرب به الخمر بصحن مفعم لو شاء أن يسبح به لسبح ، وذلك كناية عن سعة حجم الكأس الذي يشرب به الخمر .

ويقول[٣]:

خذوا ثأر الديانة وانصروها فقد حامت على القتلى النسور

ولا تبح إلى سلم وحارب عسى أن يجبر العظم الكسير

وظف ابن حمديس أكثر من كناية ، فقد كنى عن كثرة قتلى المسلمين بقوله (فقد حامت على القتلى النسور) ، وكنى عن ضعف المسلمين بقوله (عسى أن يجبر العظم الكسير) ، والكناية هنا تثري النص الشعري ؛ لإن الشاعر يريد أن يستنهض همم الأندلسيين ، من أجل رفع راية الإسلام ومقاومة المستعمر.

ويقول[٤]:

ملك إذا جاد الغيث من يده فمسقط القطر منه منبت النعم

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، (مادة كنو) ، ص٦٤
(٢)أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٣ ، ص ١٨٣
(٣) ابن حمديس ، الديوان ،ص١٠
(٤) ابن حمديس ، الديوان ،ص٧٢

كنى الشاعر عن صفة الكرم والعطاء بقوله (تسقط قطرات الغيث من يده) موظفا المجاز المرسل وعلاقته السببية فالغيث يسبب النعم .

ويقول[١]:

يضع الهناء مواضع النقب الذي يضع السنان مواضع الأحقاد

مواضع النقب كناية عن سداد الرأي واليد وحسن الإصلاح ، يلاحظ أن الشاعر يوظف الكناية ليشد انتباه المتلقي ، وليضفي جمالا على الألفاظ ويعمق المعنى .

يقول[٢] :

محسودة الحسن لا تنفك في شغف منها بصبح صقيل الليل في الشعر

ترتبط الألوان بإيحاءات رمزية على نحو وصف سواد الشعر وبياض البشرة عند المرأة ، وقد وظف الشاعر دلالة اللون الأبيض والأسود في تشكيل صورته الشعرية ، إذ شبه بياض بشرتها بإشراق الصباح ، وسواد الليل الحالك بسواد شعرها الطويل المصقول ، ويلاحظ المبالغة في الوصف من خلال استخدام التشبيه المقلوب .

ويقول[٣] :

عذبتني بالعنصرين بلظى حشاي وماء عيني

كنى الشاعر عن الشوق بقوله لظى حشاي ، وعن دموعه بقوله ماء عيني ، يلاحظ أن الكنايات هنا متداولة وسهلة الفهم واقتربت من الدلالة الحقيقية " والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح [٤]

(١) ابن حمديس ، الديوان ، ص١٤٧
(٢) ابن حمديس ، الديوان ، ص٢٠٥
(٣) ابن حمديس ، الديوان ،ص٤٩٢
(٤) أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص١٨٣

ويقول[١] :

أصافح الأرض إن رمت الجلوس بها وإن مشيت ففي كفي اليمين عصا

وظف الشاعر أسلوب الكناية عن صفة في وصف حاله بعد أن طال به العمر ، فهو لا يستطيع الجلوس دون مصافحة الأرض ، وكذلك لا يستطيع المشي دون الاتكاء على العصا كناية عن صفة الشيخوخة .

ويقول[٢] :

ويا حبذا الأحياء منهم وحبذا مفاصل منهم في القبور وأوصال

ويا حبذا ما بينهم طـول نومة تنبهني منها إلى الحشر أهـوال

كنى شاعرنا عن الموت " بطول نومة " ، وهي كناية عن موصوف ، وذلك لغربة الشاعر وبعده عن أحبابه ، فهو يتمنى الموت ليرقد بينهم بين القبور ، حتى تقوم الساعة ويلتقي بهم ، يلاحظ أن الصورة الكنائية جاءت للتعبير عن مشاعر الشاعر وإيصالها إلى المتلقي .

ويقول[٣]:

وبنفسي القمر الذي أحيا الهوى وأماتـــه بطلوعــه وغروبـــه

والعيـــن حيـــرى من تألــق نوره والنفس سكرى من تضوع طيبه

استخدم الشاعر الكناية وهنا كناية عن صفة ، حيث وصف جمال حبيبته واشراقها بالشمس ، فعند طلوع الشمس تحيي قلبه ولكنها تميته بغروبها، وتقضي عليه أشواقه ، وتتحير عينه بينها وبين وهج الشمس ، وانفس تسكر من تضوع طيبها .

فمن خلال هذه الصورة الكنائية عبر الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره ، واستطاع من خلالها تحريك مشاعر وعاطفة المتلقي .

(١) ابن حمديس ، الديوان ،ص٢٣

(٢) ابن حمديس ، الديوان ،ص٣٥٩

(٣) ابن حمديس ، الديوان ،ص١٠

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي :

١- استوحى الشاعر الطبيعة الأندلسية في صوره الشعرية ، فقد عشق مناظر الرياض بما تحويه من جداول وأزهار مختلفة الأنواع والألوان وجبال خضراء ، وأنهار وبحار ؛ ولهذا كانت الطبيعة منهلا حقيقيا لصور الشاعر التي جاءت مليئة بالتشبيهات والاستعارات والكنايات .

٢- استوحى الشاعر النصوص القرآنية في تشكيل صوره الشعرية ، وجاء ذلك من خلال الاقتباس أو الإشارة أو الإيحاء .

٣- وكذلك استوحى الشاعر موروثه الشعري لتشكيل صوره الشعرية ، فقد أعاد صياغة الموروث بأسلوب جديد يكشف عن قدرات إبداعية .

٤- وظف الشاعر أسلوب التشبيه في بناء صوره الشعرية ، وغايته التوضيح وتقريب المعنى للمتلقي، وتعظيم المعنى في نفسه وذلك من خلال استخدام المبالغة في التشبيه .

٥- وظف الاستعارة في شعره ، ومال إلى التشخيص في تعميق الصورة الشعرية في شعره ، برز من خلاله خياله الخصب وأثره الإيجابي في المتلقي

٦- أفاد الشاعر ابن حمديس من أسلوب الكناية في شعره ، وقد أكثر من استخدام الكنايات المتداولة في شعره والتي أصبحت كالدلالات الحقيقية على الموصوف أو الصفة المكنى عنها .

٧- مال شاعرنا إلى الرمز في تشكيل صوره الشعرية ، ومن الجدير بالذكر أن جل رموزه كانت مستمدة من الطبيعة .

Conclusion

The study concluded set of results, namely:

- The poet was inspired by the Andalusian nature in his poetic portraits, as he loved the scenery of Riyadh, including tables and flowers of various types and colors, green mountains, rivers and seas;
- The poet was inspired by the Quranic texts in forming his poetic portraits, and this came through quotation, reference or suggestion.
- The poet also inspired his poetic legacy to form his poetic images, as he rewrote the legacy with a new style that reveals creativity.
- The poet employed the analogy method in constructing his poetic images, with the aim of clarifying and bringing the meaning closer to the recipient, and maximizing the meaning in himself through the use of exaggeration in simile.

He used metaphor in his poetry

and tended to diagnose in deepening the poetic image in his poetry, through which his fertile imagination and its positive impact on the recipient emerged.

- The poet Ibn Hamdis benefited from the style of metonymy in his poetry, more than the use of the metaphors circulating in his poetry, which have become like the real indications of the descriptive or adjective about it.
- Our poet tended to symbolize the formation of his poetic images, and it is worth noting that most of his symbols were derived from nature.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
- سورة الفلق ، آية (٣)
- سورة الحاقة ، آية (٦)
- سورة الأعراف ، آية (١١٧)
٢- إحسان عباس ، فن الشعر ، دار الثقافة ، لبنان ، لات
٣-أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٣ ، ١٩٦٣
٤- أحمد مطلوب وحسن كامل بصير ، البلاغة والتطبيق ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢
٥-جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، بيروت ، المركز الثقافي ، ١٩٩٢
٦-الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن حجر ، الحيوان ، تحق مصطفى البابلي الحلبي ، ج١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٤٨
- البيان والتبيين ، تحق عبد السلام محمد هارون ، ج١، مكتبة الخانجي ، القاهرة
٨- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط٣، ١٩٩٢
- أسرار البلاغة ، دار المطبوعات العربية ، ط١، بيروت ، ١٩٨٨
١٠- الجرجاني ، علي عبد العزيز ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة ، بيروت |،١٩٦٦
١١- جودت الركاب ، الطبيعة في الشعر الأندلسي ، ط٢ ، مكتبة أطلس ، دمشق ، ١٩٧٠
١٢- ابن حمديس ، الديوان ، تحق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،١٩٨٦

١٣- ابن رشيق القيرواني ، ديوانه ، تحق عبد الرحمن باغي ، دار الثقافة ، بيروت
١٤- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٩٦٦
١٥- صاحب رشيد موسى ، الصورة البيانية في الشعر الأندلسي ، الأنبار ، ٢٠٠٣
١٦- عمر بن حمد الدحية ، المطرب من أهل أشعار المغرب ، تحق ، إبراهيم الأنباري وحامد عبد الحميد ، دار العلوم ، القاهرة ، ١٩٥٥
١٧- عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، ط٨ ، ١٩٨٣
١٨- علي عشري زايد ، بناء القصيدة العربية الحديثة ، دار الفصحى ، القاهرة ، ١٩٧٨
١٩- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحق عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتب ، بيروت
٢٠- محمد الهادي الطرابلسي خصائص الأسلوب في الشوقيات (الفلسفة والأدب) ، تونس ، ١٩٨١
٢١- محمد علي كندي ، الرمز والغناء ، دار الجديدة المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٣
٢٢- مجد الدين بن محمد يعقوب ، الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ج٧
٢٣- المعتمد بن عباد ، ديوانه ، تحق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت
٢٤- ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، ط١ ، دار صادر، بيروت ، ١٩٩٠
٢٥- نعيم اليافي ، تطور الصور الفنية في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العربي ، لا ت
٢٦ – أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحق أكرم عثمان يوسف ، مطبعة الرسالة ، بغداد

سابعًا :
القانون